



## ابن المقفع

تأليف الأديب عبد اللطيف حمزة  
للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

—>>><<<—

عليه من كل ناحية يمكن أن تتصل بابن المقفع ، وهو في كل ناحية للقول يعني كثيراً بأن يستعرض آراء السابقين في الرجل فيناقشها مناقشة حادة عنيفة ، ينتهي من ورائها إلى نقض ما يراه جديراً بالنقض ، وإلى تأييد ما يراه حقيقاً بالتأييد ، ثم يتقدم برأيه الشخصي محاولاً أن يحتج له ما وسسته الحجة ، وأن يتلس له ما يمكن أن يكون هناك من دليل ، ولست أزعج لك أني معه في كل ما انتهى إليه من الرأي ، ولكني — كما يقول الأستاذ أحمد أمين — قد أخالفه في بعض ما ذهب إليه من النتائج ، وقد أخالفه في طريقة عرض بعض الفصول والأبواب ، وقد أخالفه في تعميم الحكم أحياناً حين يحسن التخصيص<sup>(١)</sup> — بل إنني لأراه قد يفرض الرأي في بعض الأحيان فرضاً ولو لم يقم عليه شبه دليل . ومثال ذلك ما نقله عن أستاذه طه حسين (ص ٣١) من « أن صلة ما لا بد موجودة بين أشعار صالح بن عبد القدوس وأبي المتاهية ، وبين شاعر يوناني قديم هو آبيدوس عرف بفن من فنون الشعر اليوناني هو فن الشعر التعليني ؛ ثم قال : « وعندي أن ليس هناك ما يمنع العباسيين من أن يتصلوا (كذا) بهذا الفن من فنون الشعر الذي لا يتعارض والدين ، ولكني لا أعلم كيف نسني لهم هذا الاتصال وليس في المصادر العربية ما يدلنا على ترجمة لهذا الفن الشعري ولا لغيره من الفنون الشعرية عند اليونانيين » . والواقع أن الدكتور طه قد ألقى رأيه فرضاً من غير دليل ، وهو رجل يدرس الأدب بالفرض والتخمين ؛ ولا شك أن الأديب حمزة قد تورط إذ أخذ برأى أستاذه هذا وتابعه على مذهب « ليس ما يمنع<sup>(٢)</sup> » وإني لأعجب كيف يقول : إن صلة ما لا بد موجودة بين شاعري العربية والشاعر اليوناني ، مع أنه « لا يعلم كيف

الوجه في أفراد شاعر أو كاتب من الماضين بالتأليف هو — كما يقول الراجسي رحمه الله — أن تصنع كأنك تميد إلى الدنيا في كتاب وكان إنساناً ، وترجمه درساً وكان عمراً ، وترده حكاية وكان عملاً ، وتنقله زمنه إلى زمانك ، وتعرضه بقومه على قومك حتى كأنه بعد أن خلقه الله خلقه إيجاد ، يخلفه العقل خلقه تفكير . وهذا كتاب « ابن المقفع » قد وضعه الأديب عبد اللطيف حمزة ، وحاول فيه هذه المحاولة ، واجتهد في إدراك تلك الغاية ، فأخذ كاتب العربية بالقول من جميع جهاته ، وتناوله من كل ناحية يمكن أو تصح أن تلابسه ، وكان أن جرى في ذلك على مذهب الناقد الفرنسي المشهور « تين » الذي يرى أن الكاتب صنعة لموامل ثلاثة : « الجنس ، والبيئة ، والزمان » ولذلك فقد تكلم عن شعب ابن المقفع وعصره كلاماً مستقيماً شاملاً ، ثم تناوله من جهة شخصيته فنكلم عن حياته ولونه السيامي ومصرعه وأخلاقه ومكاته ونظرة إلى المثل الأعلى وزندقته وما قيل فيها ، ثم انتقل إلى الكلام عنه في فنه وعبقريته ، وعرض له مصلحاً اجتماعياً وكاتباً له أسلوبه وطريقته ، واهتم بتحقيق آثاره وخص بعضها بالتحليل والدرس ، وأطال القول خاصة في كلية ودمنة ، ثم ختم كتابه بالقول في الأثر الأدبي لابن المقفع ، أثره في الشعراء وأثره في الكتاب ، وأثره في القصة ، وأثره في العقل الشرق

بوجه عام

فالأديب الفاضل قد توسع للموضوع حتى التوسع ، ودخل

(١) مقدمة الكتاب للأستاذ أحمد أمين

(٢) كانت « ليس ما يمنع » هذه من أدلة الدكتور في كتابه الشعر الجاهلي فتأدر عليه به الناقدون وكانت في قلم الراجسي سحرية وتهكما

بنفوذ الاعراب وتقاليدهم وعقول الاعراب « وأكثر من هذا فقد يهضم حق اللغة كأن يقول : « وقد كان القدماء يخشون من وضع الكتب ... ولعلنا نخشى كذلك من وضع الكتب » وكأن يقول : « ثمناً غالباً وغالباً بأكثر مما يتصور الناس » وكأن يقول : « ولعل كتاب الأدب الكبير يكون أصدق مثالاً لما نقول » و(كان) لا تنقاس زيادتها إلا بين ما وفعل التعجب ولا تكون إلا بلفظ الماضي . وما أريد أن أتقصي وإنما أريد أن أنبه الأديب الفاضل لعله يتلافى هذه المنوات وأمثالها في الطبعة القادمة إن شاء الله ، خصوصاً وهو ربيب قسم اللغة العربية في كلية الآداب ؛ ثم هو يزعم أنه يتصوف تصوفاً علمياً وأديباً فيعكف على العلم والأدب أسائل النهار ونواشئ الأسحار ، وما يليق « بتصوف » الأدب أن يكون أسلوبه في شيء من الهافت وضعف التأليف ؛ وما يليق به أن يفنى في غيره ، وإنما الواجب أن يكون له طريقته ونهجه ، فإن الفناء في شخصية أخرى « فناء » على أن الأديب حمزة والحمد لله ليس من المكابرين في قيمة الأسلوب فهو يرى أن « من حق الأسلوب أن يوجد وليس كاتب ولا عالم ولا مؤرخ إلا ويجب ( ؟ ) أن يصرف في العناية أقصى ما يستطيع » ولكنه يعتذر عن نفسه بأن « الوقت لم يتسع للتجويد في الأسلوب » وأنا لا أدري ما الذي ضيق عليه الوقت ، وما الذي حمله على إخراج كتابه قبل أن يستكملة بمجويداً وتحريراً كأنه لم يعلم أن المرء ما يزال في فسحة من عقله حتى يؤلف كتاباً ... وكأنه لم يعلم أن الناقد لا يقدر الأثر الأدبي إلا من حيث هو هو في مادته ، وليس مما يعنيه مراعاة المسافة والزمن ، ولقد سألت صديقنا الأستاذ الزين الشاعر مرة فقلت له : أراك تنطس في حوك شمرح حتى لتقضى في ذلك الوقت الطويل . فقال : نعم ! لأنني لا أريد أن أفوت ثلثة يتفهم منها الناقد . وإن القارئ ليقرأ وهو مطمئن ، فليكتب الكاتب وهو أكثر اطمئناناً أما بعد ، فأنا مقدر للأديب حمزة ما صرف من جهد في البحث والاطلاع وإخراج هذا الأثر النافع ، ولعل كتابه — على ما أعرف — هو أوفى بحث خرج عن ابن المقفع للآن ، وإني لأرجو له أبحاثاً أوفى وأتم ، وأشمل وأعم ، فتكون كالإمجاز بعد الأرهاص ؟

محمد فرهمي عبد اللطيف

تسنى لهم هذا الاتصال وليس في المصادر العربية ما يدلنا عليه « هذا ولقد تورط حضرته مرة أخرى في مطاوعة أستاذه ، إذ رأى (ص ٨٠) أن السبب الوحيد أو من الأسباب في قتل ابن المقفع « رسالة كتبها توشك أن تكون برنامج ثورة موجهة إلى التصور وهي رسالة الصحابة » قال : « وفي هذه الرسالة نجد تشريماً جديداً من عمل الكاتب يقترحه على الخليفة ليعمل به في أمور شتى كان أهمها أمر القضاء » والذي نراه أن رسالة الصحابة على ما يتطرق به موضوعها ليست برنامج ثورة ، ولكنها في الواقع برنامج إصلاح رفعه الكاتب إلى الخليفة ، لأن فيه توطيداً للملك ، وتقوية لنفوذه ؛ وكأنني بالكاتب قد كتب هذه الرسالة يريد بها الثبوت عند الخليفة . والواقع أن الأديب حمزة قد أبعد كثيراً في تلمس الأسباب التي أودت بحياة ابن المقفع وانتهت به إلى تلك النهاية الأليمة ؛ مع أن السبب ظاهر واضح ... وهل قتل الرجل غير « السياسة » قاتلها الله ؟! تلك التي طالما طاحت برقاب وهوت برؤوس ، كمثل ما سمعت بعبد الحميد الكاتب وبيشار بن برد وغيرهم من الكتاب والشمراد

وثمة أحكام تخالف المؤلف في الأخذ بها ، فأنا مثلاً لست معه في تصحيح تلك الرواية التي نقلها عن إسلام ابن المقفع (ص ٥٦) ولا في تلك التي أثبتتها عن معارضته للقرآن ، كما إنني لست معه في أن ابن المقفع « أودى في سبيل حرية الفكر » وأنه كان « عدواً للعرب يسخر منهم » وأنه كان « زنديقاً ملحداً » إلى غير ذلك من الأحكام التي يتلصقها المستشرقون للرجل بالحق والباطل . ولقد كان في تقديري أن أمانس الأديب حمزة الرأي لولا أنني رأيت المجال محدوداً ، وأني لست بصدد الكلام على ابن المقفع ، ولكنني بصدد القول في « كتاب » ...

بقي القول في أسلوب الكتاب وهي ناحية مهمة في تقدير الأثر الأدبي وتعيين قيمته ؛ ولست متجنباً على الأديب الفاضل إذا تنقصت أسلوبه في بعض نواحيه ، فهو يهجم بهج أستاذه الدكتور طه في تكرير اللفظ ، ومرادفة الجمل ، والإكثار من الحشو والاعتراض ، ولكنه لا يحكم ذلك ولا يجوده ، وربما تهاوت إلى حد لا يطيقه الذوق ، كأن يقول : « وهذا وهذا وهذا وهذا » ويذهب به ما ذهب